الأهرام

المصدر : المدينة

التاريخ : ٢١ شعبان ١٤٠١هـ

تقرير خطير :

نظرة على المسلمين في الاتحاد السوفيتي

المؤلف احد كبار المشاركين فى منحة كارنيجى للسلام الدولى ، وهو عالم فى السياسة الاسلامية وقد اشرف مؤخرا على تنظيم مؤتمر فى نيويورك لخبراء شئون المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

اعتقد كثير من المعلقين الغربيين ان الاحتلال السوفيتي لافغانستان في نهاية عام ١٩٧٩ بمثابة استمرار للسياسة الروسية التقليدية التي ترجع الى فترة طويلة قبل الثورة البلشفية ، للتوسع جنوبا نحو المياه الدافئة للمحيط الهندى ، ومن المؤكد ان روسيا قد توسعت جنوبا على مر القرون . فقد كانت احدى الدول الامبريالية الاوربية التي غزت معظم اسيه في القرنين « الثامن والتاسع عشر »..

ولم توضع حدود التوسع الروسي في الجنوب عن طريق ضبط ذاتي للنفس ، ولا نتيجة تقسيم سلالي واضح او جغرافي ، لقد وضعت حدود ذلك التوسع اساسا بواسطة منافستها الإمبريالية ، بريطانيا العظمى التي ساندت السلطة الاسمية لثلاث دول اسلامية ضعيفة - « تركيا العثمانية ، وايران ، ومملكة افغانستان التي كانت تسودها القلاقل ، باعتبارها دولا عازلة بين الامبراطوريتين « البريطانية والروسية ».

ولقد اختفت اليوم الامبراطورية البريطانية ، شأنها شأن امبراطوريات فرنسا ، واسبانيا وهولندا والبرتغال . بل حتى الامبراطورية الحديثة وغير الرسمية « الولايات المتحدة » تقلصت بصورة كبيرة . وقد ثارت الشعوب التي خضعت للاستعمار في السابق - بعضها سلميا واحيانا بعنف - واكدت استقلالها ..

في كل مكان « ما عدا الامبراطورية الروسيه ..».

فاذا استانفت الامبراطورية الروسية زحفها جنوبا حقا ، فمن المؤكد ان ذلك مغالطة تاريخية . فان ما كان يجب ان يحدث هو العكس . فقد كان من المتوقع ان تثور شعوب آسيا الوسطى والقوقاز ، التين استعمرتهم روسية في القرن التاسع عشر ، وان تؤكد هذه الشعوب استقلالها ، الا انها لم تفعل ذلك . ولكن هل من المحتمل ان تتاثر هذه الشعوب الاسلامية بموجة « عودة العداء للاستعمار » التي انتشرت في كثير من البلدان الاسلامية مؤخرا ؟

هل تستطيع عودة الاسلام من جديد ان تتحدى السلطة السوفيتية ؟ لقد اثارت هذه الاسئلة اهتمامي منذ خريف عام ١٩٧٨ . ففي ذلك الحين ، عندما قامت الثورة الاسلامية في طهران ، ظهر مقال في المجلة البريطانية « الدين في الاراضي الشيوعية » بعنوان « نزعة المحافظة الدينية الاسلامية والانشقاق في الاتحاد السوفيتي »..وقد كتب المقالة المذكورة اثنان من المتخصصين الفرنسيين في الموضوع هما (الكسندر بنيجسن) و (شانتال ليمرسيه كيلكيجاى). ويستهل المقال بتوجيه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الانظار الى ان الاتحاد السوفيتى ، الذى يضم حوالى (٤٥ - ٥٠ مليون مسلم) هو خامس دولة اسلامية فى العالم « بعد اندونيسيا ، باكستان والهند وبنجلاديش » ويعلن الكاتبان ادعاء مثيرا وهو انه نتيجة الانفجار السكانى فانه مع نهاية القرن الحالى سوف يكون هناك مالا يقل عن « مائة مليون مسلم » فى الاتحاد السوفيتى (مقابل حوالى ١٥٠ مليون روسى)..

ويؤكد الكاتبان وجود منظمات دينية سرية فى المناطق الاسلامية السوفيتية فى صورة (الاخوان الصوفيون)، ويصفونهم بانهم خصم لدود للمؤسسة السوفيتية ، وانهم الحركة السرية الوحيدة فى الاتحاد السوفيتى التى لم تستطع ان تبقى فحسب ، بل وان

تزداد قوة خلال السنوات الاخيرة . وفى عام ١٩٧٩ ازداد فضولى نتيجة الاحداث فى افغانستان . ففى تلك

البلاد ، واجه نظام شيوعى يسانده السوفييت مقاومة عنيفة من المجموعات التى حاربته باسم الاسلام . ولنفرض ان الثورة الاسلامية الناجحة فى ايران ضد النفوذ الامريكى قد تبعتها ثورة مضادة اسلامية ناجحة فى افغانستان ضد النفوذ السوفيتى ، الن يكون لذلك مدلولات للمسلمين الذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى ؟

ربما ان هذا السؤال قد سئل فى الكرملين ، وان ذلك هو سبب ارسال حوالى ٨٠،٠٠٠ جندى سوفيتى « الى افغانستان فى نهاية عام ١٩٧٩ ، ربما ولكن لماذا ؟، اذا كان ذلك كذلك ، شكل المسلمون من اسيا الوسطى ٤٠٪

من القوة الغازية ؟ فاذا كان القرار السوفيتى نتيجة مخاوف حيال ولاء المسلمين الروسى لم يكن هناك مصير خطر فى ارسال بعض اولئك المسلمين للقيام بهذه العملية ؟ وفى نهاية فبراير عام ١٩٨٠ . تم استدعاء تلك الوحدات المسلمة السوفيتية من افغانستان . ولم يكن ذلك مثيرا للدهشة فى حد ذاته ، نظرا لان معظمهم كانوا من رجال الاحتياط جرى استدعاؤهم للقيام بمهمة مؤقتة . ولكن الوحدات التى حلت محلهم كانت كلها من القوات الروسية .

ومن المؤكد ان القيادة السوفيتية قد راجعت موقفها بالنسبة لجدوى قيام المسلمين بتلك المهمة . ومن المحتمل انه كان لدى القيادة بعض التوهم حول طبيعة تلك المهمة . ربما كانت تامل ان الاطاحة بالنظام الوحشى « لحفيظ الله امين » سوف يجعل الاتحاد السوفيتى يحظى ببعض الامتنان من الشعب الافغانى . والمعروف ان سياسات « امين » المناؤئة للاسلام لقيت الرفض ، بينما اعلن النظام الجديد الذى يدعمه الروس والذى يراسه بابراك كارمال ، احترامه للاسلام .

ربما ان الزعماء السوفييت ظنوا ان ارسال قوات مسلمة سوف يجعل هذا الخط جديرا بالتصديق ، وان الجنود المسلمين سوف يتقربون الى السكان المحليين . ولكن فى نهاية فبراير بات من الواضح ان السكان المحليين معادون بالاجماع تقريبا ، وان قوة الاحتلال سوف تتورط مباشرة وبشدة فى عمليات ضد قوات المقاومة التى تدافع عن الاسلام - وهى عمليات لم يستطع الجيش الافغانى القيام بها او تقبلها . وساد الاعتقاد ان الجنود المسلمين السوفييت لا يصلحون لهذه المهمة فى المقام الاول . ولكن بعضهم اظهر عدم صلاحيته لذلك عن طريق سلوكهم وهم فى افغانستان . فقد حدث شىء من الاخاء بينهم وبين السكان ، ولكن كانت النتائج عكس ما توقعه الزعماء السوفيت فقد تاثر المسلمون السوفييت بالافغان وليس العكس ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية